

دراسات دعوية

مجلة نصف سنوية محكمة
الثاني والثلاثون

تربية الموارد في القرآن ❁

أ. د. بحر الدين عوض

المعاني والدلالات الدعوية للأمثال الصريحة من خلال سورة البقرة ❁

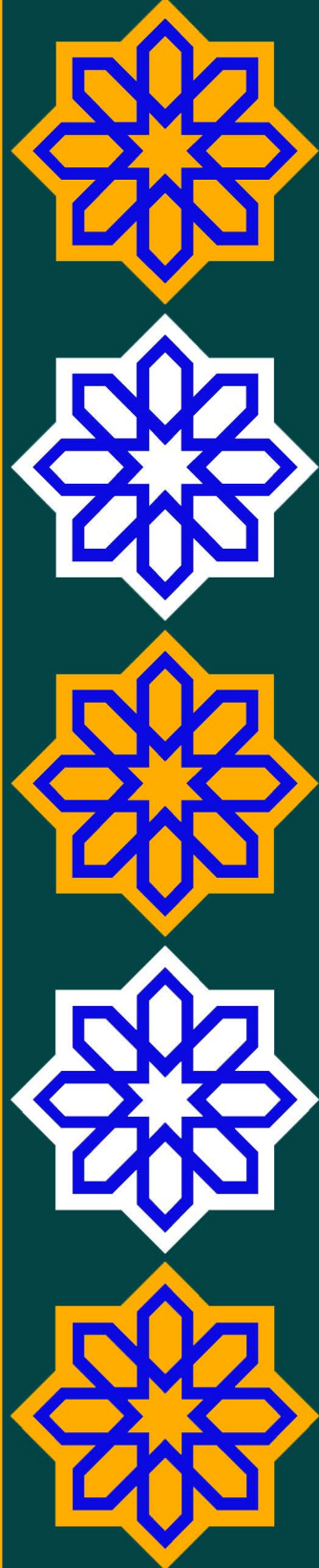
د. زين العابدين خضر صالح

أثر الخلاف العقدي في التأويل اللغوي ❁

د. محمد الشيخ عليو محمد

مسيرة التعليم الديني في السودان (المركز الإسلامي الإفريقي أنموذجاً) ❁

د. سعيد الخليفة محمد عثمان



المعاني والدلالات الدعوية للأمثال الصريحة من خلال سورة البقرة

إعداد : د. زين العابدين خضر صالح (١)

مقدمة البحث:

الحمد لله رب العالمين نحمده ونستعينه ونستهديه ونتوب إليه ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له. وأصلي وأسلم على خير من بعثه الله معلماً وداعياً ونبياً ورسولاً. نشهد أنه قد بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده.

أما بعد ...

فهذه أطروحة صغيرة في شكل بحث بعنوان المعاني والدلالات الدعوية للأمثال الصريحة من خلال سورة البقرة في الأفعال التي وردت في حق المنافقين والمنفقين وأكلي الربا.

أولاً: اتخذ الباحث وبين التساؤلات التي يجيب عليها البحث

وهي:

١/ تعريف الدلالات لغوياً واصطلاحياً.

(١) أستاذ مشارك .

٢/ تعريف الدعوة لغة واصطلاحاً.

٣/ تعريف المثل لغة واصطلاحاً وأنواع المثل وأركانه.

ثانياً: ثم بين الأهداف التي يرمي إليها البحث:

١/ إيراد المعاني والتفاسير من أصول ومهات كتب التفسير كالرازي والطبري وابن كثير والألوسي والقرطبي للأفعال الصريحة التي وردت في سورة البقرة. ومن الأمثال الصريحة في سورة البقرة والتي اتخذها الباحث كنماذج لدراسته الآيات التي وردت في إيمان المنافقين وهي قوله تعالى: M ! " # % \$ & ' () * + , - . / 0 1 2 L البقرة: ١٧.

٢ ثم بين تفسير هذه الآية ومضامينها وما ترمي إليه من معانٍ وتفسير من كتب التفاسير التي أشار إليها. ٣/ ثم عرج إلى تفسير الآيات التي وردت في الأمثال الصريحة في جانب الإنفاق وهي قوله تعالى: M M N O P Q R S T U V W X Y Z [\] ^ _ ` a b c d e f L البقرة: ٢٦١. والآيات التي تليها.

٤/ إيراد تفسير الآيات التي وردت في الأفعال الصريحة في جانب أكلي الربا وهي قوله تعالى:

, + *) (' &% \$# " ! M
 ? > = < : 9 8 7 6 5 4 3 2 1 0 / .-
 Q P N M L K J I H G F E D C B A @

LS R البقرة: ٢٧٥. والآيات التي بعدها .

ثالثاً: ومن الأهداف لهذا البحث وبعد أن استوفى التفاسير والمعاني لهذه النماذج للأفعال الصريحة اختار الباحث:
 ١/ الدلالات الدعوية من خلال هذه الأمثال وهي التي اختارها والتي تتضمن – إيمان المنافقين- الإنفاق في سبيل الله وأكلي الربا. فبين الإشارات والدلالات الدعوية التي يمكن أن يستفاد منها من خلال هذه الأمثال.

٢/ قد تكون إشارات ودلالات من خلال أحاديث النبي (صلى الله عليه وسلم) يبين فيها الأخلاق والسلوك في التعامل على المنفق أو آكلي الربا أن يتحلوا بها.
 ٣/ وقد تكون الدلالات إشارات ودلالات شرعية تستنبط من خلال تفسير هذه الآيات.
 ٤/ وقد تكون الدلالات أساليب ووسائل ومناهج نستنبطها من خلال هذه الأفعال.
 أرجو أن أكون قد أضفت شيئاً جديداً في المسار الدعوي واستنباط ما يستفاد منه في الدعوة الإسلامية.

المبحث الأول

مفهوم الدلالات والدعوة والأمثال

مطلب أول: مفهوم الدلالات لغة واصطلاحاً:

أ/ أولاً: مفهوم الدلالات لغة:

١/ دلالات جمع دلالة: (١) أو دالة وهي من تصريف الفعل الثلاثي دلّ تقول دلّ عليه دلالة بمعنى أرشد. ويقال دله على الطريق ونحوه بمعنى أرشده إليه وسدده إليه. فهو دال وهو مدلول اسم مفعول. وتقول أقام الدليل على المسألة بمعنى أرشد إلى المسألة وأدل على السلعة أعلن عن بيعها. واستدل عليه طلب أن يدل عليه واستدل بالشيء على الشيء بمعنى اتخذ دليلاً - والدالة- هي ما تدل به على حميمك أو صديقك- والدلالة هي الإرشاد - والدلالة هي ما يقتضيه اللفظ عند إطلاقه والجمع دلالات أو دلالات. والدليل هو المرشد.

٢/ ويقال (٢) دلّ فأملاً والاسم الدالة بتشديد اللام. ويقال فلان يدل بفلان أي بمعنى يثق به- والدل قريب المعنى من الهدى وهما السكنية والوقار في الهيئة والشمائل.

(١) المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى وآخرين ، ج١، ص ٢٩٤، طبعة دار الدعوة استانبول.

(٢) مختار الصحاح، للرازي، ص ٢٠٩، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة.

ثانياً : الدلالات اصطلاحياً :

يرى الباحث أن كلمة دلالات هي جمع دلالة والدلالة هي الإرشاد وعليه فإن الدلالة هي الأشياء التي ترشد إلى أو تدل على الشيء المعين وعندما نطلق كلمة الدلالات ونرجعها أو نستدل بها على الدعوة نقصد بها الأشياء التي ترشد أو تدل على معاني الدعوة أو المعاني الدعوية.

ومن خلال البحث كلمة الدلالات الدعوية من خلال الأمثال الصريحة هي استنباط المعاني الدعوية وما يدل على معنى الدعوية من خلال الأمثال الصريحة في سورة البقرة. ونعني بالدلالات في هذا المعنى ما تعنيه الأمثال الصريحة أو ما يستفاد بها في ضرب هذه الأمثال دعويًا وذلك من خلال بيان الأسلوب أو الوسيلة أو المنهج الدعوي الذي يتضمنه المثل أو بمعنى آخر استنباط الأحكام الشرعية والفقهية وما ترمي إليه الأمثال الصريحة من خلال سورة البقرة.

المطلب الثاني: مفهوم الدعوة لغة واصطلاحاً:

أولاً : الدعوة في اللغة:

١/ هي من المصدر^(١) الثلاثي للفعل دعا يدعو دعاءً فهي دعوة على وزن فعلة. والدعوة المرة الواحدة من الدعاء وجمعه أدعية. ويقال داعية اللبن - وهو ما يترك في الضرع ليدعو غيره^(٢) -

(١) صحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري، ج٨، ص ٢٣٦.

(٢) المرجع السابق نفسه للجوهري، ص ٢٣٦.

٢/ والدعوة قد تعني الطلب والنداء تقول دعا الرجل أي بمعنى ناداه. والذي يؤذن للصلاة يسمى داعي الله والنبى (ﷺ) داعي الخلق إلى التوحيد. (١)

٣/ والدعوة تأتي أحياناً بمعنى التسمية يقال دعاه زيداً بمعنى سماه (٢) بذلك الاسم.

٤/ والدعوة تأتي بمعنى الدعاء والعبادة وقد تأتي بمعنى الاستعانة كقوله تعالى: M وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا

١/٢ ٣/٤ أ آ إ ع ح ٥/٦ ٧/٨ ٩/١٠ ١١/١٢ ١٣/١٤ ١٥/١٦ ١٧/١٨ ١٩/٢٠ ٢١/٢٢ ٢٣/٢٤ ٢٥/٢٦ ٢٧/٢٨ ٢٩/٣٠ ٣١/٣٢ ٣٣/٣٤ ٣٥/٣٦ ٣٧/٣٨ ٣٩/٤٠ ٤١/٤٢ ٤٣/٤٤ ٤٥/٤٦ ٤٧/٤٨ ٤٩/٥٠ ٥١/٥٢ ٥٣/٥٤ ٥٥/٥٦ ٥٧/٥٨ ٥٩/٦٠ ٦١/٦٢ ٦٣/٦٤ ٦٥/٦٦ ٦٧/٦٨ ٦٩/٧٠ ٧١/٧٢ ٧٣/٧٤ ٧٥/٧٦ ٧٧/٧٨ ٧٩/٨٠ ٨١/٨٢ ٨٣/٨٤ ٨٥/٨٦ ٨٧/٨٨ ٨٩/٩٠ ٩١/٩٢ ٩٣/٩٤ ٩٥/٩٦ ٩٧/٩٨ ٩٩/١٠٠

٢٣ البقرة. أي بمعنى استعينوا بمن شئتم من دون الله.

٥/ والدعوة قد تأتي بمعنى دواعي الدهر وهي صروفه وابتلاءاته التي تتجمع على المسلم.

ثانياً : الدعوة في الاصطلاح:

الدعوة في الاصطلاح يمكن أن ينظر إليها من حيثيات عدة كما أشار لذلك كثير من العلماء.

أ/من حيث أنها الدين. وذلك كما ذكر محمد الراوي في كتابه الدعوة الإسلامية دعوة عالمية يقول: (هي الضوابط الكاملة للسلوك الإنساني

(١) لسان العرب، لابن منظور، ج١، ص١٤٠، مختار الصحاح، مرجع سابق، ص ١١٤.

والمصباح المنير، ج١، ص ١٩٤.

(٢) المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى وآخرين، مرجع سابق، ج١، ص ٢٨٧.

وتقرير الحقوق والواجبات)^(١). وتحت هذا البند وهذه الحثيثة بمعنى الدين يمكن أن يذكر كثير من التعاريف المصطلحية للدعوة.

ب/ من حيث الفنيات: وذلك كما ذكر أحمد غلوش في كتابه الدعوة الإسلامية أساليبها ووسائلها وأهدافها بقوله: هي العلم الذي يعرف به كافة المحاولات الفنية الرامية التي تبلغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشرعية وأخلاق)^(٢). وتحت هذا المسمى يمكن أن نذكر كثيراً من التعريفات المصطلحية أيضاً.

ج/ من حيث الغايات والأهداف: وذلك كما ذكر الإمام الغزالي في كتابه مع الله بأنها:^(٣) (برنامج كامل يحمل في أطوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس ليعرفوا الغاية من محياهم ومماتهم وليكتشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين).

وتحت هذا البند يمكن أن نذكر كثيراً من التعريفات كذلك.

د/ من حيث أنها الإسلام وذلك كما ذكر ابن تيمية^(٤) بقوله: (من أنها الدعوة إلى الإيمان بالله وما جاءت به الرسل وتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا به وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان والحج لمن استطاع إليه سبيلاً. كما أنها الدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره. كما أنها الدعوة إلى الإحسان وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك).

(١) الدعوة الإسلامية دعوة عالمية لمحمد الراوي، ص .

(٢) الدعوة الإسلامية أساليبها ووسائلها وأهدافها لأحمد غلوش، ص .

(٣) مع الله، دراسات في الدعوة والدعاة، لمحمد الغزالي، مطبعة دار نهضة مصر، ص ١٤ .

(٤) مجموعة الفتاوى الكبرى، لابن تيمية، ج ٥، ص ١٥٧، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف.

هـ/ من حيث أنها التبليغ وذلك كما ذكر أبو الفتح البيانوني في كتابه المدخل لعلم الدعوة^(١) بقوله: (هي تبليغ الناس الإسلام وتعليمهم إياه وتطبيقه في واقع حياتهم).

و/ ويستخلص الباحث من كل هذه الحثيات تعريفاً جامعاً لكل ما ذكر كما ذكر محمد زين العرمابي في كتابه الدعوة الإسلامية الشمول والاستيعاب بقوله^(٢): (إنها حركة علمية عملية لنشر الإسلام وتعليمه للناس وتعريفهم به على الوجه الصحيح وفق منهج علمي مدروس بوسائل وأساليب راقية ومتجددة بواسطة دعاة مسلمين يقومون به في الناس على هدى وبصيرة).

(١) المدخل لعلم الدعوة للبيانوني، ص . طبعة مؤسسة الرسالة بيروت.

(٢) الدعوة الإسلامية الشمول والاستيعاب، لمحمد زين العرمابي، ص ، طبعة دار العملة الخرطوم- السودان.

المطلب الثالث: مفهوم المثل وأنواعه:

أولاً: في اللغة:

- أ/ المثل: ^(١) من مادة مثل يمثل تمثيلاً ومثالاً ومثلاً وهو من مادة مثل تقوم مثل الرجل بين يدي فلان أي قام بين يديه منتصباً، ومائل فلان فلاناً صار مثله يسد مسده أي بمعنى شبيهه به وسواه.
- ويقال مائل الشيء بمعنى شابهه وقال مائل فلان بفلان بمعنى شبيهه به وتكون بين المتفقين.
 - مثل الشيء بالشيء تمثالاً شبيهه به وقدره على قدره حتى كأنك تنظر إليه.
 - ويقال تماثل الشيطان بمعنى تشابها ويقال تمثل الشيء بمعنى تصور مثله وذلك لقوله تعالى: LY X W...M سورة مريم: ١٧ .
 - والتمثيل وللمثالية هي تمثيل الحادثة تمثيلاً حقيقياً أو مختلفاً قصد العبرة.
 - المثل هو المقدار الذي يقدر على مثله.
 - والمثل - والمثل .. جملة من القول متقطعة من كلام أو مرسله بذاتها تنقل ممن وردت فيه إلى المشابهة بدون تغيير مثل قولك (الصيف ضيعت اللبن) وقولك الرائد لا يكذب أهله.
 - والممثل هو من يزاول مهنة التمثيل على المسرح.

(١) المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى، مرجع سابق، ج ٢، ص ٨٥٣.

ب/ والمثل^(١) ما يضرب به من الأمثال.

- ومثل الشيء أيضاً بفتحيتين ضعفه.
- ومثل تمثيلاً إذا صور له مثالة بالكتابة أو غيرها.

ثانياً: المثل في الاصطلاح:

أ/ المثل في الاصطلاح كما ورد في الصفحة السابقة: هو جملة من القول متقطعة من كلام أو مرسله أو مصرحة بذاتها تنقل ممن وردت عنه فيه إلى المشابهة بدون تغيير أو تبديل مثل قولك (قطعت جهيزة قول كل خطيب) وكذلك الصيف ضيعت اللبنة، وقولك (الرائد لا يكذب أهله).

ب/ والمثل هو التشبيه يقال مثل تمثيلاً أو مثالاً أي بمعنى شبهه وقدره على قدره، وبمعنى صورته بكلام أو كناية ليرز المشابهة بين شيئين.

ج/ والمثل: يتركب من ثلاثة أركان: الركن الأول هو ذكر المشبه والثاني ذكر المشبه به، والثالث ذكر أداة التشبيه مثل قوله

تعد إلى: [Z M \] [^ _] ` a b c

(١) مختار الصحاح للرازي، مرجع سابق، ص ٦١٤.

LS d الجمعة: ٥، فالمشبه هم الذين حملوا التوراة والمشبه به هو الحمار وأداة التشبيه هي الكاف في قولك كمثل الحمار.
ثالثاً: أنواع المثل:

تنقسم الأمثال من حيث أنواعها إلى:

١/ المثل الصريح: (١) وهو المثل الذي صرح فيه بالمشبه والمشبه به مع وجود أداة التشبيه. وهذا هو ما قصدنا به من دراسة مثل هذا المثل من خلال هذا البحث.

وذلك مثل قولك (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة) (٢).

ومثل قوله تعالى: M ! " # \$ % L2 (٣).

٢/ المثل الكامن:

وهو المثل الذي حذف فيه المشبه أو المشبه به ورمز إليه بقرينة تدل عليه، وهو المثل الكامن غير الظاهر الذي يعرف من سياق الكلام.

(١) المزهر في علوم اللغة للسيوطي، ص ٤٨٦ .

(٢) رواه البخاري، انظر البخاري مع الفتح، ج ٣، ص ١١، وسنن الترمذي ٢١٧٣.

(٣) سورة البقرة الآية ١٧.

وذلك مثل قول النبي (ﷺ): (من فارق الجماعة شبراً فقد خلع ربة الإسلام من عنقه).^(١)

يقول الإمام الخطابي:

الربة ما يجعل على عنق الدابة كالطوق يمسكها لئلا تشرذم فيقول من خرج عن طاعة الجماعة وفارقهم في الأمر المجمع عليه فقد ضل وهلك. فكان كالدابة إذا خلعت الربة التي هي محفوظة بها فإنها لا يؤمن عليها عند ذلك من الهلاك والضياع.^(٢)

٣/ المثل السائر:

وهي الأمثال التي أرسلت إرسالاً من غير تصريح بلفظ التشبيه فهي تجري مجرى المثل ويستعملها الناس في المواضع المناسبة في الكلام. وقد وردت الأمثال السائرة في القرآن كثيراً، ولكن كثيراً من العلماء لا يرون الاستشهاد بها لأنه خروج عن آداب القرآن مثل قوله تعالى: $\bar{E} M$ \bar{E} $\bar{L} \bar{I}$ ^(٣) أو قوله تعالى: $Lj \ i \ hg \ fed \ M$ ^(٤). وقوله

(١) أبو داود ٤٧٥٨، مسند أحمد، ٤/١٣٠. والحاكم ١١٧/١.

(٢) مختصر سنن أبي داود للمنذري، ج ٧، ص ١٤٨ - ١٤٩.

(٣) سورة يوسف الآية ٥١.

(٤) سورة النجم الآية ٥٨.

تعالى: SM t u v w x y z { L (١).

وتقول العرب قطعت جهيزة قول كل خطيب، وتقول كذلك: (إن الرائد لا يكذب أهله).

المبحث الثاني: معاني وتفسير الأمثال الصريحة في سورة البقرة:

المطلب الأول: معاني وتفسير الأمثال الصريحة في جانب المنافيين:

أ/ الأمثال التي وردت في حق المنافيين من الأمثال الصريحة التي

ضربت في حتم مثل قوله تعالى: (١) M ! " # \$ % &

(٢) L 2 1 0 / . - , + *) ('

(٢) وقوله تعالى: M 3 4 5 6 7 8 9 L (٣)

(٣) M : ; < = > ? @ A B C D E F

V U T R Q P O N M L K J I H G

hg f e d c b a ` _ ^] \ [Z Y X W

(٤) L k j i .

(١) سورة النحل الآية ٩٢.

(٢) سورة البقرة الآية ١٧.

(٣) سورة البقرة الآية ١٨.

(٤) سورة البقرة الآية ١٩ - ٢٠.

ذهب المفسرون لمعاني هذه الآيات في أقوال شتى منها:

١/ قول ابن كثير^(١) في تفسيره : في تفسير قوله تعالى: M ! "

\$ % & (') * + , - . / 0 1 2

L البقرة: ١٧ أنه يقال مثل ومثل ومثيل أيضاً والجمع أمثال وتقدير هذا المثل

أن الله سبحانه وتعالى شبههم في اشترائهم الضلالة بالهدى وصيرورتهم بعد

البصيرة إلى العمى بمن استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله وانتفع بها وأبصر

وتأنس بها فبينما هو على ذلك إذا أطفئت ناره وصار في ظلام شديد لا يبصر

ولا يهتدي وهو مع ذلك أصم أعمى أبكم. وفي هذا المثل دلالة على أنهم آمنوا

ثم كفروا كما أخبر في غير موضع فبعد إبصارهم بالضيء كالذي استوقد ناراً

وأصبح إيمانهم كالضيء استبدلوا هذا الضياء بالضلالة عوضاً عن الهدى

والإيمان فأذهب الله هذا الضياء من قلوبهم وأبصارهم فصاروا عمياً صماً بكماً.

٢/ وقد حكى الرازي^(٢) في تفسيره عن السدي أن التشبيه هنا

في غاية الصحة لأنهم بإيمانهم اكتسبوا أولاً نوراً ثم بنفاقهم ثانياً أبطلوا

ذلك النور بإطفائه فوقعوا في حيرة عظيمة ولا حيرة أعظم من حيرة

(١) تفسير القرآن لابن كثير ، ج١، ص ٥٢.

(٢) تفسير الرازي، مفاتيح الغيب، ج٧، ص ٧٣ وما بعدها.

الدين. وفي رواية أخرى عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله
(! " # \$ %) فإنما ضوء النار ما أوقدتها فإذا خمدت
ذهب نورها وكذلك المنافق كلما تكلم بكلمة الإخلاص بلا إله إلا الله
أضاء له فإذا شك وقع في الظلمة.

٣/ وقد أورد ابن جرير^(١) في تفسيره أن المضروب لهم المثل
هنا لم يؤمنوا في وقت من الأوقات واحتج بقوله تعالى:

LF EDC B A @ ? > = < M

البقرة: ٨.

والصواب أن هذا إخبار عنهم في حال نفاقهم وكفرهم وهذا لا
ينفي أنه قد كان حصل لهم إيمان قبل ذلك ثم سلبوه وطبع على قلوبهم.
ويقول إن هذا المثل ضرب لأنهم استضاءوا بما أظفروه من كلمة
الإيمان أي في الدنيا ثم أعقبهم ظلمات يوم القيامة وصح ضرب المثل
بالجماعة للدلالة على الواحد.

وقد ذكر ابن كثير^(١) في قوله وتركهم في ظلمات أي بمعنى
ذهب عنهم ما ينفعهم وهو النور وأبقى لهم ما يضرهم وهو الإحراق

(١) تفسير الطبري، ج ، ص .

والدخان وهم في ذلك لا يبصرون أي لا يهتدون إلى سبيل خير ولا يعرفونها صم لا يسمعون خيراً بكما، لا يتكلمون بما ينفعهم عمياً في ضلاله وهي عماية البصيرة ولذلك لا يرجعون إلى الهداية التي باعوها بالضلالة.

ومن الأمثال الصريحة التي ضربت في إيمان المنافقين أيضاً :

قوله تعالى: M : < ; > = ? @ A B
 P O N M L K J I H G F E D C
 a ` _ ^ | \ [Z Y X W V U T S R Q
 .^(٢) Lk j i hgfe c b

يقول ابن كثير^(٣) هذا مثل ضربه الله لصنف أو ضرب آخر من المنافقين وهم قوم يظهر لهم الحق تارة ويشكون تارة أخرى وقلوبهم في حال شكهم وكفرهم وترددهم (كصيب) والصيب المطر والسحاب والأصح على قول ابن مسعود وابن عباس وناس من الصحابة أنه

(١) تفسير ابن كثير، مرجع سابق، ج ١، ص ٥٣.

(٢) سورة البقرة الآيات ١٩ - ٢٠.

(٣) تفسير القرآن لابن كثير، مرجع سابق، ج ١، ص ٥٤، وما بعدها.

المطر إذا نزل في حال ظلمات وهي الشكوك والكفر عند المنافقين والرعء هو ما يزعج القلوب من الخوف فشان المنافقين في بعض الأحيان من نور الإيمان. وجعلهم أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت أي لا يجدي عنهم حذرهم شيئاً لأن الله محيط بقدرته، وقوله يكاد البرق يخطف أبصارهم أي يكاد محكم القرآن يدل على عوراتهم كما قال ابن عباس. وعلى قول آخر لشدة ضوء الحق كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا أي بمعنى كلما ظهر لهم من نور الإيمان واستأنسوا به تعرض لهم الشكوك فتظلم قلوبهم فوقفوا حائرين. فهذا الضرب من المنافقين يوم القيامة منهم من يطفأ نوره بالكلية وهم الخلس من المنافقين. فالناس يعطون أنوارهم يوم القيامة بحسب إيمانهم فمنهم من يعطي من النور ما يضيء مسيرة فرسخ ومنهم من يطفأ نوره تارة ويضيء أخرى ومنهم من يمشي على الصراط ويقف أخرى. فأما المنافقون الخلس فإن نورهم يطفأ بالكلية كما ذكرنا لما أبدوه من الشكوك والظنون والكفر بعد أن ظهر نور الإيمان في قلوبهم واستأنسوا به.

وقد ذكر الرازي^(١). أن حيرتهم بذهاب نورهم هي أعظم حيرة لأنها حيرة الدين كما ذكرنا في قول الرازي في الآية السابقة. وجاء ذكر تطابق الحيرة في الدين مع حيرة أخرى ذكرها في تفسير قوله أو كصيب من السماء فيه رعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق. وقد ذكر في تفسير هذه الآية أن هذا المثل هو المثل الثاني للمناققين وكيفية المشابهة هنا أنه إذا هطل السحاب الذي فيه الظلمات والرعد والبرق واجتمع مع ظلمات السحاب ظلمة الليل وظلمة المطر مع ورود الصواعق عليهم يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت. والبرق يكاد يخطف أبصارهم فإذا أضاء لهم مشوا فيه وإذا ذهب بقوا في ظلمة فوقفوا متحيرين لأن من أصابه البرق في هذه الظلمات ثم ذهب عنه تشتت حيرته. فشبّه المناققين في حيرتهم وجهلهم بالدين بهؤلاء الذين وصفهم إذ كانوا لا يرون طريقاً ولا يهتدون.

المطلب الثاني: الأمثال الصريحة في جانب الإنفاق:

(١) تفسير الرازي، مفاتيح الغيب، ج٧، ص ٧٧ وما بعدها.

ذكر المثل الصريح في جانب الإنفاق في قوله تعالى: N MM

] \ [ZYX WV U T SR QP O

.^(١) Lg f e d b a ` _

ذكر الإمام الرازي^(٢). في تفسير هذه الآية ومعانيها مسائل متعددة:

(أ) المسألة الأولى:

١/ إن الله سبحانه وتعالى لما أجمل في قوله تعالى: M آمنَ ذَا الَّذِي

Ä Ã Â Á ن ¾ ½ ¼ » ° 1

LÆÄ^(٣). فصل بعد ذلك في هذه الآية الأضعاف ونسبتها. وقد بين

الله سبحانه وتعالى لولا وجود الإله المثيب لكان الإنفاق وسائر الطاعات عبثاً. ثم ضرب الله المثل للجزاء الكثير الذي يجازي به في قوله إنه من بذر حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة.

٢/ كما أن الإنفاق يكون في الجهاد بعد التصديق بالنبى (ﷺ)

والمجاهدة قد تكون بالنفس وبالمال في نصرته وإعلاء شريعته .

(١) سورة البقرة الآية ٢٦١.

(٢) التفسير الكبير للرازي، ج٧، ص ٤٥ وما بعدها.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٤٥.

٣/ وقد بين الله أن الله ولي المؤمنين وأن الكافرين أوليؤهم الطاغوت،
فبين أن المثل فيما ينفق المؤمن في سبيل الله وما ينفق الكافر في سبيل
الطاغوت.

ب) المسألة الثانية:

الآية بها إضمار وتقديره مثل صدقات الذين ينفقون أموالهم
كمثل حبة وقيل مثل الذين ينفقون أموالهم كمثلز أرع حبة.

ج) المسألة الثالثة:

وقوله ينفقون أموالهم في سبيل الله يعني بذلك دينه ويعني ذلك
الإنفاق في جميع أوجه البر ويدخل فيه الواجب والنفل.
وأما قوله تعالى والله يضاعف لمن يشاء جاء تفسير ذلك في
أقوال كما ذكر الطبري^(١) أنه قد اختلف أهل التأويل في تفسير قوله
تعالى: (والله يضاعف) فقال بعضهم والله يضاعف لمن يشاء من
عباده أجر حسناته كالذي أعطي للمنفق في سبيله من التضعيف على
الواحدة بسبعمائة.

(١) تفسير الطبري، ج٤، ص ٦٥٠ وما بعدها.

وعن الضحاك قال يضاعف لمن أنفق في سبيل الله يعني السبعمائة وقال آخرون والله يضاعف لمن يشاء من المنفقين في سبيله على السبعمائة إلى ألف ضعف وهذا قول ذكر عن ابن عباس.

وأما قوله تعالى: "...M © a « L البقرة: ٢٤٧

. ورد أيضاً على أقوال منها:

يعني بذلك جل ثناؤه والله واسع يزيد من يشاء من خلقه المنفقين في سبيله على أضعاف السبعمائة التي وعده أن يزيدهم وهو عليم بمن يستحق منهم الزيادة.

وقال ابن زيد^(١). في قوله تعالى: (والله واسع عليم) قال واسع

أن يزيد من سعته عليم بمن يزيده.

وقال آخرون: عليم بما ينفق الذين ينفقون أموالهم في طاعة الله وقد أورد الرازي^(٢). في قوله والله يضاعف لمن يشاء والله واسع

عليم قوله: "...M ^ _ L g b a ` البقرة: ٢٦١ . إن الله لم

يبين كمية هذه المضاعفة ولا بيان من يشرفه الله بتلك المضاعفة. بل

(١) الطبري، ج٤، ص ٦٥٠. والدر المنثور للسيوطي، ج١، ٣٣٦.

(٢) مفاتيح الغيب للرازي، ج٧، ص ٤٥ وما بعدها. وينظر المحرر الوجيز ٢/٢٣٠، والقرطبي ٣/٤٠٣، والسيوطي في الدر المنثور ١/٣٣٦.

يجوز أن الله يضاعف لكل المتقين ويجوز يضاعف لبعضهم بحيث يكون إنفاقه أدخل في الإخلاص أو لأنه بفضلته وإحسانه يجعل طاعته مقرونة بمزيد القبول والثواب.

ثم قال وقوله والله واسع عليم - أي بمعنى واسع القدرة على المجازاة بالجد والأفضال عليهم بمقادير الإنفاقات وكذلك كيفية ما يستحق عليها. ومتى كان الأمر كذلك لم يصر عمل العامل ضائعاً عند الله سبحانه وتعالى.

وقد ذكر ابن كثير^(١) في تفسيره هذا مثل ضربه الله تعالى لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيل الله وابتغاء مرضاته وأن الحسنه تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وذلك في قوله تعالى: (M) (SR QP O N). وقد ذكر سعيد بن جبير يعني بهذه الآية في طاعة الله وقال مكحول يعني به الإنفاق في الجهاد من رباط الخيل وإعداد السلاح وعن ابن عباس الإنفاق في الجهاد والحج الدرهم فيها بسبعمائة ضعف. وهذا المثل أبلغ في النفوس من ذكر عدد السبعمائة فإن هذا فيه إشارة إلى أن الأعمال الصالحة ينميها الله

(١) تفسير ابن كثير ، ج ١ ، ص ٣١٦ وما بعدها.

سبحانه وتعالى لأصحابها كما ينمي الزرع لمن بذره في الأرض الطيبة. وقد ورد في السنة أن (الحسنة تضاعف إلى سبعمائة ضعف)^(١).

فمن عياض بن غطيف قال دخلنا على أبي عبيدة نعوذ من مرض وأمراته تحيفة قاعدة على رأسه فقلنا كيف أصبحت، فقالت امرأته لقد بات بأجر، قال ما بت بأجر وكان مقبلاً على الحائط فاقبل بوجهه على القوم وقال ألا تسألوني عما قلت؟ قلنا أعجبنا مما قلت فنسألك عنه. قال (سمعت رسول الله ﷺ) يقول: (من أنفق نفقة فاضلة في سبيل الله فبسبعمائة، ومن أنفق على نفسه وأهله أو عاد مريضاً فالحسنة بعشر أمثالها والصوم جنة ومن ابتلاه الله ببلاء في جسده فهو له حطة)^(٢).

وقد روى أن رجلاً تصدق بناقة مخطومة في سبيل الله فقال (ﷺ): (لتأتين يوم القيامة بسبعمائة ناقة مخطومة)^(٣).

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م (٣٢٧/١٣). حديث رقم ٧٩٤٥

(٢) رواه أحمد (١٩٥/١ - ١٩٦)، وابن أبي شيبة (٣١٨/٥، ٣٣٩)، والبخاري في التاريخ الكبير (٢١/٧).

(٣) كتاب القيامة الكبرى، الفصل العاشر الحساب والجزاء ٢٦٠/١، عمر سليمان العتيبي، دار النفائس، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

وقد ورد عنه (ﷺ) من حديث بن مسعود قوله: (إن الله جعل حسنة ابن آدم إلى عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم والصوم فإنه لي وأنا أجزي به وللصائم فرحتان فرحة عن فطره وفرحة يوم القيامة ولخلاف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك).^(١)

وأما قوله تعالى: (والله يضاعف لمن يشاء) فقد ذكر ابن كثير^(٢) قوله:

في حديث يرويه عمران بن الحصين عن النبي (ﷺ) قال: (من أرسل بنفقة في سبيل الله وأقام في بيته فله بكل درهم سبعمائة درهم يوم القيامة، ومن غزا في سبيل الله وأنفق في جهة ذلك فله بكل درهم سبعمائة ألف درهم). ثم تلا (ﷺ) قوله والله يضاعف لمن يشاء.

وعن أبي هريرة من حديث ابن عثمان النهدي (إن الحسنه تضاعف إلى ألفي ألف حسنة). وورد عن نافع عن ابن عمر في قوله

(١) الكتاب: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ (١٦٨/١١).

(٢) تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٣١٦ وما بعدها.

والله يضاعف لمن يشاء بحسب إخلاصه في عمله. وقوله تعالى (والله واسع عليم) أي بمعنى فضله واسع كثير أكثر من خلقه عليم بمن يستحق ومن لا يستحق سبحانه وتعالى.

المطلب الثالث: الأمثال الصريحة في جانب الربا.

الآيات التي وردت في جانب الربا متعددة والمثل الصريح الذي ورد في

جنب لربا جاء في قوله تعالى: M ! " # \$ % & ' (

9 8 7 6 4 3 2 1 0 / . - , + *)

K J I H G F E D C B A @ ? > = < :

.^(١) L S R Q P N M L

فالمعاني التفسيرية لهذه الآيات نوردها من عدة جوانب:

أولاً: ذكر الرازي^(٢) في تفسير هذه الآية تمهيداً لذلك قوله: (أعلم أن

هناك علاقة بين الصدقة والربا وهذه المناسبة والعلاقة من حيث التضاد. ذلك

لأن الصدقة عبارة عن تنقيص المال بسبب أمر الله بذلك وأما الربا فهو الزيادة

في المال مع نهي الله عنه فلذلك كانا متضادين). ولذلك جاء ذكرها في قوله

(١) سورة البقرة الآية ٢٧٥.

(٢) التفسير الكبير للرازي، ج٧، ص ٨٥ وما بعدها .

تعالى: M UT WV X [Z \] ^ _ ` (١).
ولما جاءت المناسبة بين هذين الحكيمين ذكر الله عقيب الصدقات والنفقات حكم الربا.

وأما قوله الذين يأكلون الربا- المراد الذين يتعاملون به وخص الأكل لأنه معظم الأمر وفي آيات أخرى ذكر النهي عن أكل مال اليتيم وأكل أموال الناس بالباطل. فالربا كان زيادة في المال في الجاهلية وهو لا يؤكل إنما كان معاملة ولكنه كان يصرف في المأكول ولذلك خص الله سبحانه وتعالى بالأكل ويعني به التصرف في الربا. وقد ورد كلمة الأكل في جانب الربا، أيضاً في قول النبي (ﷺ): (لعن الله أكل الربا وموكله وشاهده وكتابه والمحلل له). فالحرمة غير مختصة بالأكل إنما بالتصرف والمعاملة في الربا. كما أورد الرازي أيضاً مسائل في جانب الربا^(٢) وهي:

١/ المسألة الأولى: الربا هو عبارة عن الزيادة يقال ربا الشيء يربو بمعنى زاد ووردت في قوله: (اهتزت وربت) بمعنى زادت. وأربى الرجل عامل

(١) سورة البقرة الآية ٢٧٦.

(٢) التفسير الكبير للرازي ، ج٧ ، ص ٨٥ وما بعدها

في الربا وفي الحديث: (من أجبى فقد أربى) ومعناه تعامل بالربا والاجباء بيع الزرع قبل أن يبذرو صلاحه.

٢ / المسألة الثانية: يقول الرازي إن الربا قسمان:

ربا النسيئة وربا الفضل.

فأما ربا النسيئة وهو الذي كان متعارفاً في الجاهلية فقد كانوا يدفعون المال على أن يأخذوا كل شهر قدرًا معيناً ويكون رأس المال باقياً ثم إذا حل الدين طالبوا المدين برأس المال فإن تعذر الأداء زادوا في الحق وفي الأجل فهذا هو الربا الذي كانوا يتعاملون به في الجاهلية.

وعن ابن عباس أنه كان لا يحرم الربا الأول وهو ربا النسيئة فقد ذكروا أن ابن عباس كان يحرم الأول ويحل الثاني ولكنه رجع عن ذلك عندما علم أن النبي (ﷺ) قد حرمه وهو ربا النقد وهو بيع الدرهم بالدرهمين وعن ابن عباس أنه ربا النقد. فابن عباس حجته في ذلك (وأحل الله البيع) يعني ربا النقد وحرم الربا هو مخصوص ربا النسيئة.

وأما جمهور المجتهدين فقد حرموا الربا في القسمين فأما الأولى تحريمه كان بالقرآن وأما الآخر وهو ربا النقد فبالخبر وروا الخبر عينة حرم الربا في الأشياء الستة التي ذكرها النبي (ﷺ). ثم اختلفوا فقال عامة الفقهاء حرمة التفاضل غير مقصورة على هذه الستة بل ثابتة في غيرها وقال آخرون بل

الحرمة مقصورة عليها. وقد ذكر العلماء آراء كثيرة في تشريع الربا وحرمة ليس هذا المجال لذكرها إنما أردنا أن نبين معنى الربا وأنواعه.

٣/ المسألة الثالثة: والعلة في تحريم الربا من عدة وجوه أولها الربا - يقتضي أخذ مال الإنسان من غير عوض وأن من يبيع الدرهم بدرهمين نقداً و نسيئة فيحصل له زيادة درهم من غير عوض ومال المسلم بحاجته وله حرمة ولا يجوز التعدي عليه . وثانيها: أن الربا يمنع الناس عن الاشتغال والمكاسب ويخفف على الناس الاجتهاد والاكتساب في أوجه المعيشة فيصبح الربا كسباً سريعاً دون مشقة بحيث لا يعمل صاحبه لا بزراعه ولا صناعة ولا حرفة ولا مهنة. وثالثها: الربا يفضي إلى انقطاع المعروف والإحسان. رابعاً: الربا يجعل المقرض غنياً والمستقرض فقيراً.

ثانياً: وأما تفسير الآية^(١). في قوله (لا يقومون) فأكثر المفسرين يقولون المراد منه القيام يوم القيامة وقال آخرون القيام من القبر. وقوله إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس. فالتخبط معناه الضرب على غير استواء وتخبطه الشيطان إذا مسه خبل أو جنون والمس غير الجنون. وقد ورد عند كثير من المفسرين أن أكل الربا يبعث يوم القيامة مجنوناً وهذه خصيصة له يوم القيامة يعرفه بها الناس حيث آكلة الربا

(١) التفسير الكبير للرازي، - ج٧، ص ٨٩ وما بعدها.

يقومون مجانين. وفي حديث الإسراء يقول النبي (ﷺ) إنه رأى رجالاً كل واحد بطنه كالبيت يقوم أحدهم فتميل به بطنه فيصرع كالمجنون فقلت يا جبريل من هؤلاء؟ قال هؤلاء (الذين يأكلون الربا...).

ثالثاً: وقد ذكر ابن كثير في تفسيره^(١). في قوله: M ! " "

\$ % & ' () * + , - . LS البقرة:

٢٧٥ . ذكر أنهم لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبط الشيطان له. وقال ابن عباس إن أكل الربا يبعث يوم القيامة مخنوقاً مجنوناً وفي حديث أبي سعيد عن الإسراء أنه عليه الصلاة والسلام مر ليلة ائذ وقوم لهم أجواف مثل البيوت فسأل عنهم ف قيل له أنهم أكلة الربا. وحديث أبي هريرة كذلك في ليلة الإسراء عنه (ﷺ) قال: (أتيت ليلة الإسراء على قوم بطونهم كالبيوت تخرج منها حيات تجري قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء أكلة الربا).

وأما قولهم: (إنما البيع مثل الربا) وهو قولهم بجواز الربا لأنه كالبيع وذلك اعتراض منهم على أحكام الله وشرعه وليس هذا قياساً

(١) تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٣٢٦ وما بعدها.

منهم الربا عن البيع. وذلك لأن المشركين كانوا لا يعترفون بمشروعية أصل البيع الذي شرعه الله في القرآن ولو كان ذلك قياساً لقالوا إنما الربا مثل البيع وإنما قالوا: (إنما البيع مثل الربا). ويعنون بذلك إنما هو نظيره فلم حرم هذا وأبيح هذا وهنا اعتراض على الشرع فهذا مثل. وأما قوله تعالى: $M = > ? @ A$ أي من بلغه نهى الله عن الربا فانتهى حال وصول الشرع فله ما سلف من المعاملة. وفي حديث يوم فتح قول النبي (ﷺ) بياناً لذلك قوله: (كل ربا في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين وأول ربا ابدأ به ربا عمي العباس).^(١) وقوله تعالى: ومن عاد - أي إلى الربا وفعله بعد بلوغه النهي عنه فقد استوجب العقوبة وقامت عليه الحجة ولذلك قال: $M \ 8 \ 9 \ ; < = > L ?$ ^(٢).

(١) صحيح مسلم ٨٨٩/٢ كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم.
وسنن أبي داود ٤٦١/٢ كتاب المناسك، باب صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم.
وسنن ابن ماجه ١٠٢٥/٢ كتاب المناسك، باب حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢) سورة البقرة الآية ٣٩.

رابعاً : وذكر القرطبي^(١) في تفسيره لآية الربا قوله :

الذين يأكلون الربا - أن أصل الربا في اللغة هو الزيادة ومنها الرباية لزيادتها على ما حولها من الأرض، ومنه الربوة من الأرض، ومنها قولهم أربى فلان على فلان في القول أو الفعل إذا زاد عليه.

وأما في الشرع يقع على معان لم يكن الاسم موضوعاً في اللغة ويدل عليه أن النبي (ﷺ) سمى النساء ربا في حديث أسامة بن زيد فقال إنما الربا في النسب. وقال عمر بن الخطاب: (إن من الربا أبواباً لا تخفى منها السلم في السن يعني الحيوان). وقال أيضاً: (إن آية الربا من آخر ما نزل من القرآن وأن النبي (ﷺ) قبض قبل أن يبينه لنا فدعوا الربا والريبة). وقد ثبت بذلك أن الربا قد أصبح أمراً شرعياً لأنه لو كان باقياً على حكمه في أصل اللغة لما خفي على عمر.

والربا الذي كانت تعرفه العرب هو ربا قرض الدراهم إلى أجل بزيادة على مقدار ما استقرض على ما يتراضون به. ولم يكن يعرفون البيع بالنقد وإذا كان متفاضلاً من جنس واحد فأبطل الله تعالى الربا الذي كانوا يتعاملون به وأبطل ضرورياً أخرى من البيوعات وسماها ربا.

(١) أحكام القرآن للقرطبي، ج ١، ص ٥٦٣ وما بعدها.

والربا في الشرع له معانٍ :

الأول: الربا الذي كان عليه أهل الجاهلية، والثاني التفاضل في الجنس الواحد من المكيل والموزون والثالث النساء وهو على ضروب منها وهي في الجنس الواحد من كل شيء لا يجوز بيع بعضه بغير نساء سواء أكان من المكيل أو الموزون. فلا يجوز بيع ثوب مروى بثوب مروى نساءً لوجود الجنس، ومنها وجود المعنى المضموم إليه الجنس في شرط تحريم التفاضل وهو الكيل والوزن في غير الأثمان التي هي الدنانير والدرهم. فلو باع حنطة بجزء نساءً لم يجز لوجود الكيل. ولو باع حديداً بغير نساءً لم يجز لوجود الوزن.

الثاني: ومن أبواب الربا الشرعي السلم في الحيوان: (١).

فقد ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه (أن من الربا أبواباً لا تخفى منها السلم في السن). ولم تكن العرب تعرف ذلك ربا فعلم ذلك فيما بعد توقيفا على قول النبي (ﷺ): (الحنطة بالحنطة مثلاً بمثل يداً بيد والفضل ربا والشعير بالشعير مثلاً بمثل والفضل ربا وكذلك التمر والملح والذهب والفضة وهي جملة الأصناف الستة. فسمى النساء في الفضل في الجنس الواحد مكيالاً أو وزناً ربا. وقد ورد في

(١) أحكام القرآن للقرطبي، ج ١، ص ٣٦٥ وما بعدها.

حديث أسامة بن زيد الذي رواه عن ابن عباس: (إنما الربا في النسيئة، وكان ابن عباس يقول إن الربا في النسيئة ويجوز بيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة متفاضلاً اتفاقاً مع حديث أسامة. ولكنه رجع عن ذلك لما ورد إليه تواتر الخبر عن النبي ﷺ) بتحريم التفاضل في الأصناف الستة رجع عن قوله.

الثالث: ومن أبواب الربا الدين بالدين:

وفي ذلك روى عن النبي ﷺ في الحديث الذي رواه ابن عمر قوله: (أنه نهى عن الكالئ بالكالئ)^(١) وفي لفظ آخر (عن الدين بالدين) وهما سواء. إلا أنه في العقد عن الدين بالدين وأنه معفو عنه بمقدار المجلس لأنه جائز له أن يسلم دراهم في كر حنطة وهما دين بدين. إلا أنهما إذا افترقا قبل قبض الدراهم بطل العقد. وكذلك الدرهم بالدنانير جائز وهما دينان وإذا افترقا قبل القبض بطل.

(١) كتاب: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ (١٥٥/١٦)

الرابع: ومن أبواب الربا الذي تضمنت الآية تحريمه: (١).

إن الرجل يكون عليه ألف درهم ديناً مؤجلاً فيصالحه منه على خمسمائة حالة فلا يجوز. فقد ورد عن سفیان بن حميد عن ميسرة قال سألت ابن عمر (يكون لي على الرجل دين إلى أجل فأقول عجل لي وأضع عنك؟ فقال هو ربا، والدليل على ذلك أن ربا الجاهلية كان قرضاً مؤجلاً بزيادة مشروطة فكانت الزيادة بدلاً عن الأجل فأبطله الله تعالى: ويقول أبو حنيفة (من دفع إلى خياط ثوباً فقال إن خطته اليوم فلك درهم وإن خطته غداً فلك نصف درهم لا يجوز لأن الشرط الثاني باطل. وذلك بناء على ما ورد في قول النبي ﷺ) من الأصناف الستة. لأن النساء قد تكون في البيع ربا بقوله: (ولكن إذا اختلف النوعان فبيعوا كيف شئتم يدا بيداً).

(١) المرجع السابق، ص ٣٦٥ وما بعدها.

المبحث الثالث: الدلالات الدعوية للأمثال الصريحة في سورة البقرة:

المطلب الأول: الدلالات الدعوية للأمثال الصريحة في جانب

إيمان المنافقين:

الدلالات الدعوية: يقصد بها استخراج أو استنباط يدل على الدعوة من خلال الضرب لهذه الأمثال التي وردت وهي صريحة في سورة البقرة. فالمثل قد يضرب لبيان الأمر الدعوي الذي يراد الدعوة له لتقريب المعنى. وهو أسلوب عقلي ضربه الله كثيراً للمنافقين والكافرين لأعمال عقولهم وتقريب المعنى الدعوي المقصود للاستجابة له. والدلالات الدعوية من خلال هذه الأمثال قد تكون أمراً يدعى له أو بياناً له أو نهياً عنه لأعمال العقل وقبوله وقد تكون الدلالات أموراً شرعية تستنبط من المثل المدعو له أو قد تكون أسلوباً دعويّاً أو وسيلة دعوية أو أخلاقية أو تشريعية تستنبط من خلال المثل المضروب.

(أ) والدلالات الدعوية من خلال ضرب المثل الصريح في جانب إيمان

المنافقين ورد في قوله تعالى: M ! " # \$ % & ' () * + , - . / 0 1 2 L البقرة: ١٧. والأمثال

ضربت في القرآن الكريم لأنها تؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف الشيء في نفسه ذلك لأن الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي الغائب بالشاهد.

والمثل الصريح في إيمان المنافقين ضرب بهذه الطريقة بإعطاء المنافق النور ثم سلبه منه مع أن المنافق ليس له نور. فالمنافقون من خلال هذه الآية لا انتفاع لهم البتة بإيمانهم أي نورهم.

وقد ذكر العلماء^(١) أن نور الإيمان في المنافقين كمثل مستوقد النار الذي اكتسب لنفسه نوراً والله تعالى لنفاقهم ذهب بذلك النور وتركهم في الظلمات. والعلماء ذكروا في كيفية التشبيه في هذه الآية للمنافقين في زمنه (ﷺ) أن ناساً دخلوا الإسلام عند وصوله (ﷺ) إلى المدينة ثم نافقوا في إيمانهم فبإيمانهم أولاً اكتسبوا نوراً ثم بنفاقهم أبطلوا ذلك النور ووقعوا في حيرة عظيمة وهي حيرة الدين وحيرة الدين تخسر الفرد أجر الدنيا والآخرة أبد الأبد.

ففي هذه الآية يعلمنا الله سبحانه وتعالى أن النفاق والشك والحيرة في الدين وعدم التزام جانب الله سبحانه وتعالى تخسر الإنسان دنياه وآخرته. ولذلك يقول الله تعالى: ﴿M ⊕ E ∞ | § ∴ © ª « ¬ ®

L^(٢) وذلك لأنهم علموا ثم تركوا ونافقوا.

(١) التفسير الكبير للرازي، ج ١، ص ٧٣، وما بعدها.

(٢) سورة النساء الآية ١٤٥ .

(ب) بينت الآية في إيمان المنافقين أن الناس يوم القيامة على أضرب فمنهم المؤمن ومنهم الكافر وذلك لقوله تعالى: M ! " # \$ % & ' (L8 ^(١) وهؤلاء هم المؤمنون الذين ثبتوا على الإيمان. وأما الكافر والمنافق يذهب الله بنورهم فيقولون (ذرونا نقتبس من نوركم).

وفي ذلك يقول (ﷺ): (من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة إلى عدن أبين صنعاء حتى أن من المؤمنين من لا يضيء نوره إلا موضع قدميه، وذلك حسب درجة الإيمان في القلوب)^٢.

وفي حديث آخر يخبرنا (ﷺ) ليعين لنا الثبات على الإيمان وعدم النفاق لأنه يذهب بالنور يوم القيامة بقوله: (الناس يؤتون نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يؤتي نوره كالنخلة ومنهم من يؤتي نوره كالرجل القائم وأدناهم نوراً على إبهامه يطفأ مرة ويوقد مرة)^(٣).

(١) سورة الحديد الآية ١٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، (١٧/٢٤٤).

(٣) تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٥٢ وما بعدها. كتاب: توفيق الرحمن في دروس القرآن، المؤلف: فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل محمد، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية - الرياض، دار العليان للنشر والتوزيع، القصيم - بريدة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م (٢٢٢/٤).

وفي شرح حديث الرسول (ﷺ) يقول ابن عباس: (ليس أحد من أهل التوحيد إلا ويعطي نوراً يوم القيامة فأما المنافق فيطفأ نوره والمؤمن مشفق مما يرى من إطفاء نور المنافقين فهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا). ويقول الضحاك بن مزاحم: (يعطي كل من كان يظهر الإيمان في الدنيا يوم القيامة نوراً فإذا انتهى إلى الصراط يطفئ نور المنافقين فلما رأى ذلك المؤمنون شفقوا فقالوا: (ربنا أتمم لنا نورنا).

ج) وعلى ذلك فإن الناس يوم القيامة أقسامٌ " منهم المؤمنون الخالص وهم الموصوفون بالآيات الأربع في أول البقرة. ومنهم الكفار الخالص وهم الموصوفون بالآيتين بعدها ومنهم المنافقون وهم قسمان:

قسم منافقون خالص^(١) وهم المضروب لهم المثل الناري في قوله تعالى: M ! " # \$ % & L 2^(٢). وهؤلاء يذهب الله نورهم بالكلية لشكهم وعدم ثباتهم وتوليهم وأما القسم الثاني وهم المنافقون المترددون وهم الذين ضرب لهم المثل المائي M : ;

(١) التفسير الكبير للرازي، ج ١، ص ٧٨ وما بعدها.

(٢) سورة البقرة الآية ١٧.

< = > @ LNA ^(١) فهؤلاء منافقون يترددون تارة ويظهر لهم لمع الإيمان تارة وهم أصحاب المثل المائي وهم أخف حالاً من الذين قبلهم. فإذا قيل أي المثلين أبلغ المثل الناري أو المثل المائي قيل إن التمثيل الثاني المائي هو أبلغ من الآخر لأنه أدل على فرط الحيرة وشدة الأغاليط ولذلك تراهم يندرجون في نحو من الأهون إلى الأغلط. وقد عطف التمثيل الثاني على الأول أي المائي على الناري لأن أو في أصلها تساوي شيئان فصاعداً في الشك ثم اتسع فاستعير المثل الثاني للتساوي، فمثلاً لو قلت جالس الحسن أو ابن سيرن تريد أنهما سببان في أن تجالس أيهما شئت والفرق بين المثلين أن المنافقين في ذلك قسمان بعضهم يشبهون أصحاب النار وبعضهم بأصحاب المطر.

(د) والمثل الناري في هذه الآية بيدي لنا أيضاً على أن النفاق قد يكون نفاقاً خالصاً ونفاقاً فيه شعبة من النفاق، وذلك كما ورد في حديث عبد الله بن عمرو ^(٢) أن النبي (ﷺ) قال: (ثلاثة من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه واحدة منهم كانت فيه خصلة من النفاق

(١) سورة البقرة الآية ١٩.

(٢) تفسير ابن كثير، ج ٧، ص ٥٦ وما بعدها.

إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا أُؤتمن خان).^(١) فالحديث يبين أن من كانت فيه هذه الخصال الثلاث كان منافقاً خالصاً لا إيمان له. ولكن من كانت فيه واحدة منهن كانت له بمثابة الخصلة من النفاق.

هـ) وبما أن النفاق مرتبط بالإيمان وقوته وعدمه وهو منبعه القلب لحديث النبي (ﷺ): (الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل، فعليه فالقلوب كما ذكر النبي (ﷺ) وبما فيها من إيمان على أربعة أقسام. (قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر وقلب أغلف مربوط على غلافه وقلب منكوس وقلب مصفح. فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن فيه نور وأما القلب الأغلف فقلب الكافر. وأما القلب المنكوس فقلب المنافق الخالص عرف ثم أنكر وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق، ومثل الإيمان فيه كمثّل البقلة يمدّها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثّل القرحة يمدّها القيح والدم. فأى المادتين غلبت على الأخرى غلبت عليه).

(١) صحيح البخاري برقم (٣٤) وصحيح مسلم برقم (٥٨) وَالْعَظْمُ بِ"ع" ن كُثْرَتِهِ كَلَمْ يَنْدَافِحَةً لِلْأَصْدِ ١ - والرابعة - وإذا خاصم فجر".

هـ) وطالما الإيمان مربوط بالنفاق والإيمان يزيد بالطاعات وترك المنكرات وينقص بترك الطاعات وفعل المنكرات فإن التقصير في فعل الطاعات والأولمر هو أيضاً نوع من النفاق وذلك كالصوم والحج وسائر العبادات. كما أن الأخلاق الفاسدة وعدم الالتزام بالسلوك القويم وفعل المنكرات والفواحش هو نوع من النفاق لأن هذه الأعمال تنتقص الإيمان وتكسب صاحبها خصلة من شعب النفاق .

المطلب الثاني: الدلالات الدعوية للأمثال الصريحة في جانب

الإنفاق:

بعد أن بين الله سبحانه وتعالى في آية الإنفاق والتي ورد فيها

مثلاً صريحاً في قوله تعالى: T SR QP O N MM

g f e d b a ` _] \ [ZYX WV U

L البقرة: ٢٦١. عمد سبحانه وتعالى إلى بيان الغرض التشريعي

والدعوي من الإنفاق وهي:

١/ بين الله سبحانه وتعالى أن الأعمال تضاعف كما تضاعف

الصدقة وذلك كما ورد في حديث النبي (ﷺ) الذي يرويه أبي هريرة

بقوله (كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة

ضعف إلى ما شاء الله إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به يدع طعامه

وشرابه من أجلي وللصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه

. ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك الصوم جنة

الصوم جنة). ففي هذا الحديث يبين الله سبحانه وتعالى وبما أن

الصدقة مما تعد من الأموال وهي سهلة العد وهي التي تضاعف فبين

سبحانه وتعالى أن الأعمال سواء أكانت بالجوارح أو بالقلب تضاعف

كذلك.

٢/ كما أن الله سبحانه مقارنة مع النفقات في سبيل الله ذكر أن صدقة الأعمال وهي كالصلاة والصيام والذكر تضاعف أو تفوق مضاعفة الصدقات. وذلك في الحديث الذي رواه سهل بن معاذ عن أبيه عن النبي (ﷺ) قال: (إن الصلاة والصيام والذكر يضاعف على النفقة في سبيل الله بسبعمئة ضعف).^(١) ومثل الصلاة والصيام والذكر والنفقة في الجهاد وكذلك بين في الحديث الذي رواه عمران بن الحصين عن النبي (ﷺ): (من أرسل بنفقة في سبيل الله وأقام في بيته فله بكل درهم سبعمئة درهم يوم القيامة ومن غزا في سبيل الله وأنفق في جهة ذلك فله بكل درهم سبعمئة ألف درهم)^(٢) ثم تلا قوله تعالى: مَنْ ذَا

﴿ ١ ٥ ٣/٤ ١/٢ ٣/٤ ﴾ نِجَ آ آ آ

(١) سنن أبي داود برقم (٢٤٩٨) .

تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٣١٧ وما بعدها. وأورده السيوطي في الدرر المنثور، ٣٣٧/١.
(٢) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م (٣/٥٠٣).

كلها أن النبي (ﷺ) عندما نزلت هذه الآية وهي قوله تعالى: (N M) (SR QP O). ففي هذه الأحاديث يحتثا صلى الله عليه وسلم ويبين أجر الصدقة في سبيل الله وقد يبين أن الله يجازي العبد حسب إخلاصه في عمله ولذلك ذيلت الآية (بأن الله واسع عليم) أي بمعنى فضله واسع كثير يجازي به بمن يستحق من عباده.

٣/ كما أن الله سبحانه وتعالى لكي تقبل الصدقة من العبد وتضاعف له نهى عن المن بالصدقة ثم أنه مدح الذين لا يمنون بالإففاق لا بقول ولا بفعل. كما نهى عن أذى من يمنون عليهم بالفضل بأي مكروه يحبط عما سلف من الإحسان. وقد بين الله سبحانه وتعالى أن كثرة المال وتبذيره وبذله في الإففاق مع المن خير منه القول المعروف الذي يكون باللسان، وذلك لقوله تعالى: M £ M ¥ S | ° - ® « a © ° (1). والقول

المعروف قد يكون كلمة طيبة ودعاءً لمسلم أو عفواً أو غفراناً ومسامحة ذنب أو ظلم قول أو فعل خير من الصدقة التي يتبعها الأذى. ولذلك

(1) سورة البقرة الآية ٢٦٣.

حذر الله سبحانه وتعالى إبطال الصدقات بالمن والأذى والأحاديث التي وردت في المن بالصدقة منها: (١).

أ/ قوله (ﷺ): (ما من صدقة أحب إلى الله من قول معروف).

ب/ قوله (ﷺ): (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكهم ولهم عذاب المنان بما أعطى والمسبل إزاره والمنفق سلعته بالحلف الكاذب).

ج/ قوله (ﷺ): (لا يدخل الجنة عاق ولا منان ولا مدمن خمر ولا مكذب بقدر).

ولذلك شبه الله المنافق بالصدقة والذي لا يجني بصدقته شيئاً عند الله بالصفوان وهو الحجر الأملس الذي أصابه تراب فأصاب ذلك الحجر مطر خفيف فجرف الماء التراب وتركه حجراً كما كان لا يمسك شيئاً.

١/ ثم عمد سبحانه وتعالى لبيان الفائدة من الأجر والثواب والأمر الشرعي المستفاد من الصدقات بأنها لا بد أن تكون مرضاة لله سبحانه وتعالى لا مناً فيها ولا رياء ولا سمعة. ولذلك أثنى الله سبحانه وتعالى على الذين ينفقون أموالهم مرضاة لله سبحانه وتعالى وهم

(١) تفسير ابن كثير ، ج ١ ، ص ٣١٨ وما بعدها .

مُثَبِّتُونَ وَمَتَّقُونَ أَنْ الْأَجْرَ يَعُودُ عَلَى صِدْقَتِهِمْ أَجْرًا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى. وَعَنْ الشَّعْبِيِّ قَوْلَهُ (وَتَثْبِيثًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ) بِمَعْنَى تَصَدِيقًا وَتَيْقِنًا. ^(١) فَقَدْ شَبَّهَهُمُ اللَّهُ بِالْجَنَّةِ الَّتِي تَكُونُ بِالرَّبْوَةِ الْعَالِيَةِ وَهُوَ الْمَكَانُ الْمَرْتَفِعُ مِنَ الْأَرْضِ وَبِهِ بَسْتَانٌ تَجْرِي فِيهِ الْأَنْهَارُ. وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ الرَّبْوَةَ وَمِيزَهَا بِوُجُودِهَا فِي الْمَكَانِ الْمَرْتَفِعِ وَذَلِكَ لِحِمَايَتِهَا فَأَصَابَهَا وَابِلٌ مِنْ مَطَرٍ فَإِنْ لَمْ يَصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ وَهُوَ الرِّذَاذُ وَالْمَطَرُ اللَّيِّنُ. فَهَذِهِ الْجَنَّةُ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ الْمُحْمِي وَأَصَابَهَا الْمَطَرُ فَقَدْ تَوَتَّى أَكْلَهَا وَثِمَارَهَا أَوْعَافًا مُضَاعَفَةً. وَهَذَا مِثْلُ ضَرْبِهِ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ أَنَّ عَمَلَ الْمُؤْمِنِ مَهْمًا قَلٌّ أَوْ كَثْرًا مِنْ دُونَ رِيَاءٍ أَوْ مِنْ لَا يَبُورُ بَلْ يَتَقَبَّلُهُ اللَّهُ وَيَكْثُرُهُ وَيَنْمِيهِ كُلَّ عَامِلٍ بِحِسْبِهِ.

٢/كما أن من الدلالات الدعوية في آية الإنفاق يمكن أن

يستفاد منها في باب المكاسب كما قال تعالى: e d c M

r qp nml k j ih gf

{ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ z yxw v u ts

٢). L E Φ. والمكاسب التي ذكرت في الآية تبين أن الكسب

(١) أخرجه ابن رنجويه في الأموال ، ٢٣١٦. وابن أبي حاتم التفسير، ٥١٩/٢.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٦٧.

لا بد أن يكون من أوجه حلال، والمكاسب^(١) نوعان أحدها إبدال الأموال وثانيها إبدال المنافع، ولذلك يقول (ﷺ): (إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وأن ولده من كسبه). وتبين آية الإنفاق والتصدق في صراحتها أنها تدل على أن النفقة والتصدق لا بد من تجنب الخبيث من الأموال ومن الثمار في النفقة وذلك لقوله تعالى: $s \ r \ qM$ $LFU \ t$. فهذه الآية وردت في الصدقة ومن العلماء من يقول إنها صدقة التطوع لا الفرض. وفي تيمم الخبيث من النفقة أو الصدقة يروي أبو أمامه سهل بن حنيف عن أبيه قال: نهى (صلى الله عليه وسلم) عن نوعين من التمر الجعرور ولون الحبيق أن تخرج من الصدقة). وكانت العلة في ذلك: (أن لو أحدكم أهدى إليه مثل ما أعطى من الصدقة لما أخذه إلا على أغماض وحياد. فلما كان المرء لا يرضاه لنفسه فقد نهى النبي (ﷺ) بأن يتصدق بالخبيث على غيره.

٣/ كما أن آية الإنفاق وما يستفاد منها بها نهى مجمل في صور الإنفاق ولكن الآيات التي بعدها قد فصلت المستفاد من المجمل. وذلك في قوله تعالى: $M \ 2 \ 3 \ 4 \ 5 \ 6 \ 8 \ 9$: ; < =

(١) أحكام القرآن للقرطبي، ج ١، ص ٥٥٤ وما بعدها .

> @ BA LI H G F E C البقرة:

٢٧١. فقد بينت هذه الآية أدب كيفية إخراج النفقة والصدقة. فقد ذكر ابن عباس أن الإخفاء يكون في صدقة التطوع فأما صدقة الفريضة فيجب إظهارها ثلثا تلحقه تهمة. وقد مدح الله إخفاء الصدقة كما مدح إظهارها وذلك في قوله تعالى: M الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِثْمِ وَالْإِنْفِاقِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ

¶ ١ ٥ « 1/2 1/4 3/4 ن L البقرة: ٢٧٤. كما روى

عن ابن عباس أن صدقة التطوع قد تجوز في سائر الصدقات لأنها أولاً وأخيراً تكون للفقراء. كما أن عموم اللفظ يقتضي جميعها لأن الألف واللام هنا للجنس فهي شاملة لجميعها.

٤/ كما أن آية النفقة الصريحة^(١) التي وردت في قوله (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) قد يستتبط منها نوع آخر من النفقة والصدقة ولكنه قد يكون سلبياً لا فائدة فيه من الأجر. وذلك كما ذكر في قوله تعالى يبين في صدقة ونفقة المرأين المنافقين بقوله تعالى: M

> @? BA DC E F HG I KJ

ML N O P QR S T U VW X

(١) تفسير الطبري، ج ٤، ص ٦٨٣ وما بعدها.

L b a ` _ ^] \ [\

البقرة: ٢٦٦. فهذه الآيات ضربت للمنافق المنفق ماله رياء الناس ويطفئ الله نوره ويذهب عمله ويحبط أجره حين يلقاه وهو أحوج ما يكون لأجر عمله.

وذلك كالجنة التي احترقت عند كبر صاحبها وله ذرية ضعاف أحوج ما يكونون لأموال هذه الجنة فبطلت منافعها. المنافق يوم القيامة محتاج إلى نفقته ولكن قد أحرقتها الربا كما أنفق الرجل على جنته حتى إذا بلغت وكثر عياله واحتاجوا إليها جاءتها ريح فيها سموم فأحرقتها.^(١) وعن عمر رضي الله عنه عندما تلى هذه الآية قال: (هذا مثل ضرب للإنسان يعمل عملاً صالحاً حتى كان عند آخر عمره أحوج ما يكون إليه فعمل بعمل السوء). وعنه أيضاً عندما كان خليفة سأل فيما نزلت هذه الآية فقال ابن عباس نزلت في العمل فقال عمر أي عمل؟ قال^(٢). (رجل عمل بعمل الحسنات ثم بعث له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله كلها).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره، ج ٢، ص ٥٢٣ وما بعدها .

(٢) الزهد لابن المبارك، ١٥٦٨، والبخاري ٤٥٣٨ وابن أبي حاتم في تفسيره

المطلب الثالث: الدلالات الدعوية للأمثال الصريحة في جانب الربا:

١/ الدلالات الدعوية للمثل الصريح الذي ضربه الله سبحانه وتعالى في سورة البقرة لآكلي الربا ورد في قوله تعالى: (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس). ومن خلال هذه الآية وبيان عاقبة من يأكل الربا أن الله أراد أن يبين فضل الصدقة والتي هي نقص في مال العبد المتصدق على الربا والذي هو زيادة في مال المرابي عمد سبحانه وتعالى إلى المقارنة بينهما. ولذلك ذكر بعد آية الإنفاق عاقبة أكل الربا فبين سبحانه وتعالى عاقبة أكل الربا أنهم يبعثون يوم القيامة مخنوقين مجافين. كما بينت الآية أن المرابين لهم أجواف مثل البيوت فيها الحيات تجري من خارج بطونهم وذلك لبيان والتخويف من عافية أكل الربا. وقد وردت هذه الأمور المنكورة في أحاديث النبي (ﷺ)^(١). في الحديث الذي رواه أبو هريرة قول النبي (ﷺ): (أتيت ليلة الإسراء قوم كل بطونهم كالبيوت فيها الحيات تجري من خارج بطونهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء آكلة الربا).

٢/ كما أن الآية الكريمة قد بينت أحكاماً شرعية هي بمثابة الأمر أو بمثابة النهي عن أشياء. فمن الأحكام المنهي عنها التحريم

(١) التفسير الكبير للرازي، ج٧، ص ٨٩ وما بعدها.

بالتفاضل في الأصناف الستة وهي الحنطة والشعير والتمر والملح والذهب والفضة وذلك للحديث الذي رواه أسامة بن زيد. وقد أمر الشرع في حديث النبي (ﷺ) أن يباع المثل بالمثل بحيث لا يكون تفاضل وذلك في قوله (ﷺ):^(١) (الحنطة بالحنطة مثلاً بمثل يداً بيد والفضل ربا والشعير بالشعير مثلاً بمثل يداً بيد والفضل ربا).

ثم في حديث آخر: (وإذا اختلف النوعان فبيعوا كيف شئتم يداً بيد). وقد منع النساء في الجنسين من الكيل والموزون وأباح التفاضل إذا اختلفا).

٣/ كما الآية الكريمة نهت ربا الدين بالدين وذلك لحديث ابن عمر رضي الله عنه: (أنه نهى عن الكالئ بالكالئ) وفي بعض الألفاظ عن الدين بالدين). وقد بينت الآيات التي بعد آية الربا أن الدين لا بد أن يصبر عن المدين ذليلاً لا يجد وفاءً لدينه. ونهى عن فعل المرابين في الجاهلية الذين كانوا يعاملون المدانين عند الوفاء إن لم يقدرُوا يجبرونهم على المراباة وقد ورد في الحديث الذي رواه أبو أمامه أسعد بن زرارة قول النبي (ﷺ): (من سره أن يظله الله يوم لا ظل إلا ظله فلييسر عن المعسر أو ليضع عنه). وفي حديث آخر رواه بريدة قوله

(١) أحكام القرآن للقرطبي، ج ١، ص ٣٦٥ وما بعدها.

سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: (من انظر معسراً فله بكل يوم صدقة) وقال سمعته يقول: (من انظر معسراً فله بكل يوم صدقة). فسأل النبي (ﷺ) عن ذلك فقال له: (له بكل يوم مثله صدقة قيل إن يحل الدين فإن أنظره فله بكل يوم مثله صدقة).

٤/إن الآية الكريمة من خلال معانيها ومن الآيات التي وردت بعدها أنها قد حرمت أنواعاً من الربا^(١). مثل قول الرجل لأخيه عليك ألف درهم راده إلى دين مؤجل فادفع لي خمسمائة حاله وأضع عنك فهذا على قول ابن عمر نوع من ربا. وقد روى ذلك عن ابن عمر وزيد بن ثابت وسعيد بن جبير والشعبي وهو قول عامة الفقهاء. والعلة في ذلك أن ربا الجاهلية كان فرضاً بزيادة مشروطة فكانت الزيادة بدلاً من الأجل فأبطله الله تعالى بقوله: M ® - ° ± 32

تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ L البقرة: ٢٧٩. وقوله تعالى: M Z |
 مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ L البقرة: ٢٧٨. فحذرت الآيات أن يؤخذ للأجل عوض فالحظ في معنى الزيادة عوضاً عن الأصل، أو الزيادة في العوض لأجل زيادة الأجل كلها أنواع من أنواع من المراباة. وذلك

(١) المصدر السابق، ص ٣٦٥.

مثل قول أبي حنيفة فيمن دفع إلى خياط ثوباً فقال إذا خطته اليوم فلك درهم وأن خطته غداً فلك نصف درهم فالشرط الثاني باطل ذلك لأنه إن خاطه غداً فله أجر مثله لأنه جعل الحط بمقدار الأجل.

٥/ والآية الكريمة أيضاً قد بينت عواقب وشواهد ذميمة لآكلي الربا أن الربا عاقبته تصير إلى قلة في المال وذلك لقوله تعالى يحق الله الربا ويربي الصدقات). وكذلك قول النبي (ﷺ) : (إن الربا وإن كثرت فإن عاقبته تصير إلى قل). وفي حديث آخر قوله (ﷺ): (ما أحد أكثر من الربا إلا كان عاقبة أمره إلى قل).

كما أن الآية بينت عاقبة الربا أنه يؤدي إلى الاحتكار والاحتكار مذموم والمحتكر يضرب بالجذام والإفلاس وذلك كحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: (من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالإفلاس أو بجذام). كما أن عاقبة الربا أنه يلحق بصاحبه أوصافاً رذيلة فهو كفور القلب آثم ظالم يأكل أموال الناس بالباطل، وذلك مصداقاً لقوله تعالى: M

UT WV X [Z \] ^ _ L` البقرة: ٢٧٦

٦/ كما أن سياق الآية الكريمة والآيات التي تليها قد بينت الذين يرابون ويصرون على المراباة مع النهي عنه أنهم بذلك يحاربون الله ورسوله. والحرب بينهم وبين الله تكون يوم القيامة عندما يقال لهم خذوا أسلحتكم لمحاربة الله سبحانه وتعالى. ولكن الله سبحانه وتعالى قد بين أن من تاب ورجع وعاد ولم يصر فله رأس ماله. وفي قوله فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله نزلت في أقوام من بني تقيف هم أبناء عمرو بن عمير وهم عبد ياليل وحبيب ومسعود عندما أسلموا طلبوا من رابوهم بأن يعيدوا لهم أموالهم فنهى الله عن أخذ الزيادة ولهم رؤوس الأموال. ويقول ابن عباس في ذلك فمن كان مقيماً على الربا لا ينزع عنه كان حقاً على إمام المسلمين أن يستتيبه فإن نزع وإلا ضرب عنقه.

الخاتمة: وتشمل النتائج والتوصيات:**أولاً: النتائج:**

١/ المثل في القرآن الكريم ضرب لبيان الأمر المراد به شرعاً أو الأمر المدعو له. وهو منهج عقلي ضربه الله كثيراً للكافرين والمنافقين لأعمال عقولهم وتقريب المعنى المقصود الدعوي لهم للاستجابة.

٢/ الإيمان يزيد وينقص لدى المؤمن فهو يزيد بفعل الطاعات ويقل وينقص بفعل المنكرات هذا في جانب المؤمن. أما الإيمان في جانب المنافقين فقد بين الله سبحانه وتعالى من الآية التي ضربت لأيمان المنافقين أن هناك منافقين خلص لا يقبل إيمانهم في المثل الناري ومنهم المترددون الذين يؤمنون تارة ويشكون مرة أخرى وضرب لهم المثل المائي.

٣/ الناس يوم القيامة على حسب إيمانهم يكون النور بين أيديهم وبأيمانهم منهم يكون له الضوء التام يجتاز به الصراط ومنهم من نوره تحت أرجله ومنهم من يطفئ نوره مرة ويضئ أخرى حسب أعمالهم وإيمانهم في الدنيا.

٤/ وأما الآية للمثل الصريح في جانب الإنفاق فقد بين الله سبحانه وتعالى أن الحسنه تضاعف عشرة أمثال كما أن الصدقة في سبيل الله تتضاعف عشرة أمثال ثم إلى سبعمائة ضعف.

٥/ والمضاعفة للثواب عند الصدقة ورد في قوله تعالى: M _
 a b d e f g Lg البقرة: ٢٦١. وتصديقاً للحديث الذي
 رواه أبو هريرة عن النبي (ﷺ) أن الصدقة في سبيل الله تتضاعف إلى
 ألفي حسنة. ولحديث النبي (ﷺ) من أنفق درهماً في سبيل الله يضاعف
 له سبعمائة درهم هذا في مجال المتصدق بماله في سبيل الله عند
 الجهاد. أما من جاهد بنفسه وبماله فإن الدرهم يتضاعف إلى سبعمائة
 ألف درهم.

٦/ كما بين الله سبحانه وتعالى من يتصدق بماله في سبيل الله أو
 تصدق على أحد عليه ألا يمن على من تصدق به. والمنان هو الذي
 يتحدث ويتباهى بما تصدق به. فعن النبي (ﷺ) قوله: (لا يدخل الجنة
 منان).

٧/ أما الآيات التي وردت في الربا فإن الله قد بين عاقبة المرابين أنهم
 يوم القيامة يقومون من قبورهم مجانين مخنوقين - وذلك كما ورد في
 حديث النبي (ﷺ) قوله: (أكل الربا يبعث يوم القيامة مخنوقاً مجنوناً).

٨/ كما أن المرابين أحوالهم يوم القيامة لهم أجواف مثل البيوت تخرج
 منها الحيات من بطونهم وذلك كما ورد في حديث النبي (ﷺ): (أُتيت

ليلة الإسراء على قوم بطونهم كالبيوت فيها حيات تجري خارج بطونهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء آكلة الربا).
ثانياً التوصيات:

١/ المسلم عليه أن يتوخى الأعمال التي تزيد من إيمانه وتقويه وهي الأعمال الصالحة وتجنب الأعمال الفاسدة التي تعلق الدين وتذهب بالحسنات. وهذا مخالف لعمل المنافقين إذ أنهم كانوا يعملون ثم يتشككون ويتكاسلون في أداء الأعمال فكان عاقبة إيمانهم كمثل الذي استوقد ناراً وكان لها ضوء فذهب الله بذلك الضوء .

٢/ كما أن على المسلم أن يتجنب النفاق في سائر أعماله وسائر أخلاقه ومعاملاته مع ربه. إذ أن النفاق قد يكون في التقصير في أداء المأمورات كالصلاة والصوم والزكاة والحج وسائر الأعمال الفاضلة بالتقصير أو الترك أو الاستهتار.

٣/ كذلك فليعلم المؤمن أن فعل المأمورات والإكثار فيها تكون نوراً يضيء له الصراط ويجنبه الذلات فيه. فهو حسب الإيمان والأعمال يكون الضياء للمؤمن يوم القيامة. فمنهم من يضاء له النور التام فيجتاز الصراط ومنهم من يتعثرون في الاجتياز ومنهم من يضاء له تارة وينار له أخرى كل حسب عمله وإيمانه.

٤/ المتصدقون بأموالهم في سبيل الله عليهم أخفاء هذه الصدقات وأنها
تضاعف إلى سبعمائة ضعف. وذلك لقول تعالى: M - (R)
- ° ± 2 3 ن ل البقرة: ٢٧٤. فعلى قول
ابن عباس أن صدقة التطوع يجب إخفؤها وصدقة الفرض يجب
إظهارها للاقتداء بها.

٥/ المتصدق بماله لكي تحفظ له هذه الصدقة وينال بها الأجر العظيم
عليه ألا يمنه على من تصدق عليه بالأذى أو الكلمة الجارحة. إذ أن
المن بها يذهب أجرها والمنان بصدقته لا يجد ربح الجنة لقول النبي
(ﷺ): (لا يدخل الجنة منان).

٦/ ومن جانب الربا على المسلمين في مبيعاتهم وإقراضهم عليهم أن
يتجنبوا المراباة فهي من عمل الجاهلية، وقد بين النبي (صلى الله
عليه وسلم) كيفية المبايعة من غير زيادة في الفضل بقوله الحنطة
بالحنطة مثلاً يمثل يداً بيد والشعير بالشعير مثلاً يمثل يداً بيد وفي كل
الفضل ربا. كما بين النبي (ﷺ) عن أن الربا والزيادة في المكال
والموزون. وفي قول أباح بقوله: (أما إذا اختلف النوعان فبيعوا كيف
شئتم يداً بيد).

٧/ كما أن على المسلم إذا أقرض أخاه المسلم عليه أن يصبر عليه في مدته التي استدان فيها وألا يظلمه بالزيادة في الدين عند القضاء الأجل إن لم يقدر على وفائه. وذلك لقول النبي (ﷺ): (من سره أن يظله الله بظله يوم لا ظل إلا ظله فاليسر على المعسر أو يضع عنه). وفي حديث آخر: (من يسر على معسر له بكل يوم صدقة قبل أن يحل الدين فإذا حل الأجل فأنظره له بكل يوم مثلاه صدقة).

المصادر والمراجع:

- (١) أحكام القرآن الكريم للقرطبي.
- (٢) أعلام الموقعين - لابن القيم الجوزية. طبعة دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، دون تاريخ .
- (٣) الأموال لابن زنجويه.
- (٤) تحفة الأحوذني بشرح الترمذي - للمباركفوي.
- (٥) التعريفات للجرجاني. دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان - ط ١٤٠٣هـ.
- (٦) تفسير القرآن الكريم لأبي حاتم تحقيق أسعد محمد الطيب مكتبة نزار مصطفى المملكة العربية السعودية.
- (٧) تفسير القرآن العظيم - لابن كثير. طبعة دار الوفاء، المنصورة - مصر، ط٢، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- (٨) تفسير القرآن الكريم للطبري.

- (٩) تفسير القرآن ومفاتيح الغيب للرازي.
- (١٠) الدر المنثور للسيوطي.
- (١١) الدعوة الإسلامية أساليبها ووسائلها وأهدافها لأحمد غلوش.
- (١٢) الدعوة الإسلامية الشمول والاستيعاب، لمحمد زين الهادي.
- مطابع دار العملة- الخرطوم بالسودان ، ط ٢٠٠٥م.
- (١٣) الدعوة الإسلامية دعوة عالمية لمحمد الراوي.
- (١٤) الرسول والعلم للقرضاوي.
- (١٥) الزهد لابن المبارك.
- (١٦) سنن ابن ماجة، لابن ماجة. طبعة دار الفكر، بيروت - لبنان، دون تاريخ ، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي.
- (١٧) سنن أبي داؤد، لأبي داوود السجستاني. طبعة وزارة الأوقاف المصرية، القاهرة - مصر.
- (١٨) سنن الترمذي- للإمام الترمذي. طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، دون تاريخ.
- (١٩) شرح صحيح مسلم - للنووي.
- (٢٠) صحاح تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري.
- (٢١) صحيح الإمام البخاري- للإمام البخاري. طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان - دون تاريخ.

- (٢٢) صحيح البخاري، للإمام البخاري. طبعة جمعية المكنز الإسلامي المعادي - مصر - القاهرة - دون تاريخ.
- (٢٣) صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج. طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.
- (٢٤) العدة في أصول الدين - لأبي يعلى. طبعة مؤسسة الريالة - بيروت - لبنان.
- (٢٥) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، مطبعة دار السلام، الرياض، السعودية، ط١، ١٩٧٩.
- (٢٦) فتح القدير للشوكاني.
- (٢٧) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، للعز بن عبد السلام. طبعة دار القلم، دمشق - سوريا.
- (٢٨) كتاب الأم للشافعي. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - دون تاريخ.
- (٢٩) كتاب القيامة الكبرى، ج١٠، الحساب والجزاء لعمر سليمان العتيبي، طبعة دار النفائس.
- (٣٠) لسان العرب لابن منظور. طبعة دار صادر للطباعة والنشر - بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٠.
- (٣١) مجموعة الفتاوى الكبرى لابن تيمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف.

- (٣٢) مختار الصحاح - للرازي. طبعة الهيئة المصرية للكتاب - القاهرة - مصر ، دون تاريخ.
- (٣٣) مختصر سنن أبي داود للمنذري.
- (٣٤) المدخل لعلم الدعوة - لأبي الفتح البيانوني. طبعة مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - ط ١٤٢٢ - ٢٠٠١م.
- (٣٥) المزهري في علوم اللغة للسيوطي.
- (٣٦) مسند الإمام أحمد، للإمام أحمد. طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، دون تاريخ.
- (٣٧) مع الله دراسات في الدعوة والدعاة لمحمد الغزالي، مطبعة دار نهضة مصر.
- (٣٨) المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى وآخرون. طبعة دار المعارف القاهرة - مصر، ط٢، ١٩٧٢.